Nady Al-Adab

Volume 16 Issue 1 May 2019
ISSN Print: 1693-8135 | ISSN Online: XXXX-XXXX
Publisher: **Department of West Asian Studies, Faculty of Cultural Sciences, Hasanuddin University**
This journal is indexed by Google Scholar and licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

حقيقة علم البديع في ضوء دراسة تاريخية

Muhammad Syahran

muhammad.syahran.m.m@gmail.com

ملخص

يهدف هذا البحث إلى معرفة حقيقة علم البديع ونشأته وتطوره, مستخدما منهج التحليل الوصفي والمقارنة التاريخية للوصول إلى أصح البيانات وأشملها. فكانت نتيجة البحث تدل على أن نشأة وتطور علم البديع يمكن إجمالها في هذه النقاط: 1) كانت النشأة الأولى لعلم البديع من حيث التطبيق موجودة في كلام العرب المتقدمين, وفي القرآن, والحديث , وآثار الصحابة, 2) من حيث التسمية معروفة عند الْمُحدَثين العرب كأبي نواس الحسن بن هانئ. 3) من حيث النظرية مشهورة لدى الخليفة عبد الله بن المعتز العباسي, 4) من حيث تكامل عناصره على أيدي كل من قدامة بن جعفر, وأبي هلال العسكري وابن رشيق القيرواني, 5) من حيث تطبيقه الحي في القرآن أجمع, من فضل الزمخشري, 6) من حيث تقسيمه إلى المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية من فضل السكاكي, 7) من حيث تطبيقه إلى البديعيات من فضل الإمام البوصري, 8) وكان علم البديع في العصر الحالي يقتصر على التهذيب والدراسات, وأما التطوير فلا.

الكلمات المفتاحية: حقيقة علم البديع; في ضوء; دراسة تاريخية.

Abstrak

Tujuan penelitian adalah untuk mengetahui esensi ilmu *Badi'*, asal-usul dan perkembangannya, menggunakan analisis deskriptif dan perbandingan historis untuk mendapatkan data yang paling akurat dan komprehensif. Hasil penelitian ini menunjukkan bahwa asal-usul dan perkembangan ilmu *Badi'* dapat digeneralisasikan dalam poin-poin ini: 1) Kemunculan awal ilmu *Badi'* dalam aspek aplikatif ditemukan dalam perkataan orang Arab terdahulu, Alquran, Hadits dan perkataan para Sahabat, 2) Dalam aspek term dan istilah dikenal di era Abu Nawas al-Hasan Ibn Hani', 3) Dalam aspek Teoritik dikenal di era *Khalifah Abdullah Ibn al-Mu'taz al-'Abbasi,* 4) Dalam aspek integrasi unsurnya di era Qudamah Ibn Ja'far, Abu Hilal al-'Askari dan Ibn Rasyiq al-Qairawani, 5) Dalam aspek penerapannya dalam al-Qur'an secara komprehensif di era al-Zamakhsyari, 6) Dalam aspek klasifikasinya dalam *al-Muhassinat al-Ma'nawiyyah* dan *al-Muhassinat al-Lafziyyah* di era al-Sakaki, 7) Dalam aspek penerapannya dalam *al-Badi'iyyat* di era al-Imam al-Busiri, 8) Ilmu *Badi'* di era sekarang terbatas pada resensi dan pengkajian, namun tidak pada pengembangan.

Kata kunci: Esensi ilmu *Badi'*, dalam Perspektif, Studi Historis.

أ. مقدمة

كان معظم الدراسات اللغوية تهتم أكثر بالنظريات والقواعد وتطبيقاتها, فقل ما أُلْفِيَتْ دراسة لغوية لا نحوية ولا صرفية ولا بلاغية من حيث مسيرها التاريخي جيلا بعد جيل. فلا غرابة أن تتمتعت العيون فقط بمنظر الدارسين والباحثين اللغويين والبلاغيين الذين كانوا يضرب بهم المثل في القواعد النحوية والبلاغية, ولكن بمقدار تلك المتعة التي أمتعت العيون, فبمقداره أيضا أن تتأسف بمنظر مؤسف جدا في مجال تاريخ تلك القواعد النحوية والبلاغية, ذلك لأن دراسة تاريخية للعلوم اللغوية أو البلاغية على وشك النسيان بل ربما قد صار نَسْيا مَنسِيّا. فلا يلومنّ أحد إلا نفسه إذا سأل طالبا متخصصا في النحو مثلا فلا يحدّثه إلا فيما تمت إلى قواعد المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل بصلة, أما حديثه عن تاريخ تلك القواعد ومسيرها حين بعد حين فبضاعته في ذلك مُزْجاة.

ومن بين العلوم اللغوية أو البلاغية علم البديع, وهذا العلم شأنه كشأن كثير من العلوم اللغوية أو البلاغية الأخرى, إنه لم تسعه أية دراسة تاريخية لنشأتها وتطوراتها, مع أن التاريخ الغابر مليئ بتطورات شتى في علم البديع, إلا أن أقلام المؤرخين – باستثناء القليل منهم– كانت ولا تزال جافة في تسجيل هذا التاريخ بين دفتي الكتاب. وحسبك شاهدا في تاريخ نشأة وتطور علم البديع ما ذكره عبد الرحمن الميداني في كتابه **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها** أن علم البديع في أول أمره في القرن الثالث الهجري وجد سبعة عشر نوعا فقط ثم ازداد فازداد إلى مائة وأربعين نوعا في القرن الثامن الهجري.[1] فيرى الباحث في ذلك حاجة ماسة ومُلِحَّة إلى وضع مقالة تحدث فيها عن حقيقة علم البديع مستخدما دراسة تاريخية من خلال توصيف هذه الحقيقة وصفا موضوعيا مرتبا على حسب العصور المتلاحقة.

ب. حقيقة علم البديع

أما كشف معاني كلمة (البديع) فهي من الجدير بالذكر, لأنه الغاية التي يريد الباحث أن يصل إليها من خلال هذه البيانات المختلفة الكثيفة. فأول مرجع اعتمد عليه الباحث **لسان العرب**, قال فيه ابن منظور: "(والبديع) والبِدْع: الشيء الذي يكون أولا. والبديع: الْمُحدَث العجيب, والْمُبدَع. والبديع: من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها وهو البديع الأول قبل كل شيء, ويجوز أن يكون بمعنى مبدِع أو مِنْ بَدَع الخلقَ أي بدأه, والله تعالى كما قال سبحانه في محكم كتابه: ((بَدِيْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)) (البقرة/2: 117) (والأنعام/6: 101) أي خالقها ومبدِعها فهو سبحانه الخالق المخترِع لا عن مثال سابق"[2]. وأما الفيروزآبادي في **القاموس المحيط** فلم يأت ببيان مكثف زائد على ابن منظور في **لسان العرب** حول (البديع) سوى قوله: "(البديع): الْمُبتدِع والْمُبتدَع"[3].

---

[1] عبد الرحمن الميداني, **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**, (دم. دن. دس.), ص. 745–748.

[2] محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري, **لسان العرب**, ج. 8, ص. 6.

[3] الفيروزآبادي, **القاموس المحيط**, ص. 702.

ولقد ذُكِر في **المعجم الوسيط** لمجمع اللغة العربية: "أن (البديع) هو اسم الفاعل والمفعول مِنْ بدَعه – بدعا: أنشأه على غير مثال سابق, والبديع جمعه بدائع: مما بلغ الغاية في بابه, والبديع: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام"[4]. فبعد عرض هذه البيانات الموثوقة بها حول البديع, يمكن للباحث أن يستنتج بأن (البديع) في منظور اللغة أريد به الشيء العجيب الجديد الذي لم ير قبله مثله, فهو شيء محدَث لا يوجد له نظير سبقه في الوجود, هذا بالنسبة إلى المخلوقات. وأما إذا أسند البديع إلى الخالق سبحانه فهو بمعنى الفاطرِ المبدِع لجميع الكائنات التي يتأتى لها مشاهدتها عيانا والكائنات التي لا يتأتى لها مشاهدتها إلا يقينا, الأولِ الذي لا أول له في الوجود إطلاقا. فإذًا, كان (البديع) باختصار شديد عبارة عن المخترَع المبتكَر المتّصِف بالحسن ولم يجد أحد مثالا يماثله ولا شبيها يشبهه في أرض الواقع.

والآن, بعد أن تزود الباحث بمعلومات شتى من تلك البيانات السابقة, آن أوانه للتعرف على (علم البديع) في كونه مركبا من كلمتين ولكنهما معا تعنيان حقيقة واحدة. ولا يختلف فيه اثنان أن المراد بعلم البديع في هذا المقام هو أحد فروع علم البلاغة الثلاثة, ولقد اشتهر بأنه علم يعرف به وجوه تحسين الكلام كما هو المفاد من **المعجم الوسيط** لمجمع اللغة بمصر العربية. وهذا التعريف هو الأساس الذي ينطلق منه الباحث للحصول على بيانات أعمق وأوثق من هذا, لاسيما من مؤلفات كبار علماء البلاغة مثل عبد الله بن المعتز العباسي وعبد القاهر الجرجاني.

ولقد كان الخليفة العباسي أبو العباس عبد الله بن المعتز العباسي[5] أول من قدم كتابا مستقلا في علم البديع وسماه **كتاب البديع**, وهذا يستفيده الباحث من كلامه في ذلك الكتاب, ما نصه: "ولعل بعض من قصر عن السبق إلى تأليف هذا الكتاب ستحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا في فضيلته, فيسمي فنا من فنون البديع بغير ما سميناه به, أو يزيد في الباب من أبوابه كلاما منثورا..."[6] وفي موضع آخر من نفس الكتاب صرح بأنه أول من جمع فنون البديع ولم يسبقه إليه أحد, وذلك ما نصه: "وما جمع فنون البديع, ولا سبقني إليه أحد, وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين[7]...."

فكما أن عبد الله بن المعتز العباسي أول من جمع فنون البديع, فإنه أيضا أول من عرّف البديع كفن خاص, والبديع عنده: "اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم"[8]. وأبواب البديع أو العناصر البديعية عنده انتهت واستكملت في خمسة أبواب, وهي: الاستعارة, والتجنيس, والمطابقة, ورد العجز على الصدر والمذهب الكلامي. وألحق هذه الأبواب الخمسة بمحاسن الكلام والشعر, وهي التي عرفها الناس اليوم بالمحسنات البديعية.

وبعد هذا البيان, يُفهَم بأن علم البديع عند عبد الله بن المعتز العباسي هو عبارة عن فنون شعرية أو نثرية كالقرآن والحديث والأثر يتفنّن بها المتقدمون والشعراء والأدباء والنقاد في كلامهم شعرا كان أو نثرا واستكملت عناصره عنده –كما مر–

---

[4]مجمع اللغة العربية, **المعجم الوسيط**, ص. 43–44.

[5]ولد سنة 247 هـ, وتوفي سنة 297 هـ.

[6]أبو العباس عبد الله بن المعتز, **كتاب البديع**, شرحه وحققه عرفان مطرجي (ط. 1; بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية, 1433 هـ – 2012 م), ص. 12. http://www.noor-book.com/badi-1 (9 April 2018)

[7]أبو العباس عبد الله بن المعتز, **كتاب البديع**, ص. 72.

[8]أبو العباس عبد الله بن المعتز, **كتاب البديع**, ص. 72.

في خمسة أبواب, وما بعدها سماه بمحاسن الكلام والشعر, وهي المحاسن التي تحتوي على: الالتفات, والرجوع, وحسن الخروج, وتأكيد المدح بما يشبه الذم, وتأكيد الذم بما يشبه المدح, وتجاهل العارف, والهزل يراد به الجد, وحسن التضمين, والتعريض والكناية, والإفراط في الصفة, وحسن التشبيه, ولزوم ما لا يلزم, وحسن الابتداء.

ويلي عبدَ الله بن المعتز العباسي في الاهتمام بعلم البديع قدامةُ بن جعفر[9], وقد ألف كتابا سماه **نقد الشعر**. وظهر للباحث أن قدامة بن جعفر في ذلك الكتاب يهتم أكثر بالشعر, فلذا ورد في كتابه ما نصه: "وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة" وقوله: "وتبينت أن الكلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخر، وأن الناس قد قصروا في وضع كتاب فيه، فرأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع"[10].

ويقين الباحث أن اهتمام قدامة بن جعفر بالشعر وتعريفه ونقده عليه يجره إلى عدم تعريف البديع, ولعله لم يأت به لأنه اكتفى بما قد عرّف به من سبقه وهو عبدُ الله بن المعتز العباسي. ومع ذلك أنه جاء بتعريف الشعر, وهو كما قاله: "إنه قول موزون مقفى يدل على معنى"[11]. والباحث يرى أن تعريفه الشعرَ يدل على أنه يوافق ويكتفي بما قاله عبدُ الله بن المعتز العباسي من أن البديع هو فنون شعرية, لذلك جاء قدامة بن جعفر بتعريف الشعر فقط لأنه المحور الأساسي لعلم البديع, ولا حاجة له إلى أن يعرف البديع لوجود تعريف قد وافق رأيه, فبقي له أن يعرف الشعر لأنه رأى أن من سبقه لم يضع نصب عينه وعنايته بتعريف الشعر.

والعلماء الذين هم قد ألفوا كتابا في البلاغة والبديع والشعر والنقد بعد عصر قدامة بن جعفر كثيرون, منهم أبو هلال العسكري الذي جاء بكتاب **الصناعتين الكتابة والشعر** إلا أنه لم يأت في كتابه بتعريف البديع تعريفا محددا بل جاء بالتعريف عددا, كما قاله: "الباب التاسع في شرح البديع وهو خمسة وثلاثون فصلا"[12]. ومن بين ذلك العلماء هو ابن رشيق القيرواني[13] ألف كتابا ضخما سماه **العمدة في صناعة الشعر ونقده**, أوضح فيه معنى المخترَع والبديع والفرق بينهما في باب واحد. قال فيما نصه: "المخترَع من الشعر: هو ما لم يُسبق إليه صاحبه, ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه"[14]. وأما البديع عنده فهو: "الجديد, وأصله في الحبال, وذلك أن يفتل الحبل جديدا ثم فتلت فتلا آخر, وله ضروب كثيرة وأنواع مختلفة"[15].

---

[9]ولد سنة , وتوفي سنة 337 هـ.

[10]قدامة بن جعفر, **نقد الشعر** (د. ب.: المكتبة الشاملة), ص. 1. موقع الوراقhttp://www.alwarra>q.com

[11]قدامة بن جعفر, **نقد الشعر** (د. ب.: المكتبة الشاملة), ص. 1.

[12]أبو هلال العسكري, **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**, (ط. 1; د. م: دار إحياء الكتب العربية, 1371 هـ - 1952 م), ص. 266. http://archive.org/details/ktsnktsh (13 أبريل 2018 م)

[13]توفي سنة 464 هـ.

[14]ابن رشيق القيرواني, **العمدة في في صناعة الشعر ونقده**, تحقيق عبد الواحد شعلان (ط. 1; القاهرة: مكتبة الخانجي, 1420 هـ- 2000 م), ص. 421. http://archive.org/details/Omdah_Naqd (13 أبريل 2018 م)

[15]ابن رشيق القيرواني, **العمدة في في صناعة الشعر ونقده**, ص. 427.

فعند ابن رشيق القيرواني المخترَع يختلف عن البديع من حيث التطبيق وإن كانا في اللغة بمعنى واحد أو متقارب, وأما وجه الاختلاف بينهما فهو كما قاله في كتابه ما نصه: "أن الاختراع خلق المعاني التي لم يُسبق إليها, والإتيان بما لم يكن منها قط. وأما الإبداع فهو إتيان الشاعر باللفظ المستظرف الذي لم تجر العادة بمثله, ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له (بديع) وإن كثر وتكرر, فصار الاختراع للمعنى والإبداع للفظ, فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على قصب السبق"[16].

ويتأتى للباحث من خلال إيضاح ابن رشيق القيرواني حول البديع أن يستنتج بأن البديع يختص بالألفاظ, بخلاف المخترَع فإنه خاص للمعاني. ولكن ظهر أن تخصيص البديع في الألفاظ الجديدة كما أتى به ابن رشيق القيرواني مخالف لمعنى البديع الذي شمل معنى الإبداع ومعنى الاختراع كما قدمه الباحث في المعاني الأساسية لكلمة البديع. فإذا قد ثبت أن (البديع) يحتمل معنى الإبداع والاختراع فلا حاجة إذا إلى القول بالتفصيل بأن الاختراع يختص بالمعاني والإبداع يختص بالألفاظ كما هو مفاد كلام ابن رشيق القيرواني, وإنما على الباحث أن يزيد يقينا بأن علم البديع محوره في المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية لكون الإيضاح الذي جاء به ابن رشيق القيرواني يدل على أن المخترع في المعنى والإبداع في اللفظ, وفي حين البديع كان ولا يزال يشمل معنى الاختراع والإبداع معا.

وأيضا إذا صح أن المخترَع خاص للمعنى والبديع خاص للفظ, فهذا يتعارض مع الأبواب البديعية الخمسة التي قد أتى بها ابن المعتز العباسي لأنها شاملة للبديع المعنوي وهو المطابقة والمذهب الكلامي وشاملة للبديع اللفظي وهو التجنيس أو الجناس ورد العجز على الصدر. ويتعارض أيضا مع تعريف الشعر الذي هو أحد محاور البديع, وهو كما قاله قدامة بن جعفر: "إنه قول موزون مقفى يدل على معنى", فقوله (موزون مقفى) يدل على البديع اللفظي, وقوله (يدل على معنى) يفيد حقيقة البديع المعنوي. فقول ابن رشيق القيرواني في اختصاص البديع أو الإبداع باللفظ دون المعنى قول مرجوح لأنه مخالف للقول الراجح من معظم علماء اللغة والبلاغة.

وأما عبد القاهر الجرجاني[17] في كتابيه النفيسين **أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز** فلم يعثر الباحث على تعريف البديع فيهما, وإنما وجد الباحث في **أسرار البلاغة** أن عبد القاهر الجرجاني كان يلفت النظر إلى أهمية المعاني التي يخدمها الألفاظ, فقال بعد أن تكلم عن التجنيس أو الجناس –وهو فن البديع– ما نصه: "الألفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها وكانت المعاني هي المالكةَ سيايستها المستحقة طاعتها, فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته وذلك مظنة الاستكراه..."[18]

يشعر من كلامه إشارة إلى أنه رأى أن البديع محوره هو مجرد التحسين اللفظي وكثيرا ما يؤدي إلى التفريط في المعنى, مع أن المعنى هو الغرض الذي أريد في اللفظ. ولقد أوضح الباحث فيما مر عدم صحة اختصاص البديع باللفظ دون المعنى, لأن

---

[16] ابن رشيق القيرواني, **العمدة في في صناعة الشعر ونقده**, ص. 426.

[17] توفي سنة 471 أو 474 هـ.

[18] عبد القاهر الجرجاني, **أسرار البلاغة**. تحقيق محمود محمد شاكر (جدة: دار المدني, د. س), ص. 8. http://archive.org/details/FP0157 (13 أبريل 2018 م)

البديع عند معظم اللغويين والبلاغيين يشمل على حقيقته في المعنى واللفظ معا. وظهر اسم السكاكي[19] وهو عالم كبير في اللغة والبلاغة مع كتابه **مفتاح العلوم**, وقد جمع فيه علوم اللغة العربية من النحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي. فعلم البديع عنده هو: "وجوه مخصوصة لقصد تحسين الكلام, وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ"[20]. فقد صرح في هذا التعريف بأن البديع محوره الأساسي في التحسين المعنوي والتحسين اللفظي في الكلام, فإطلاق كلمة "الكلام" مع أداة التعريف يشير إلى جميع أنواع الكلام شعرا كان أو نثرا. ولعل هذا التعريف هو نتيجة الجمع بين أقوال المتقدمين.

ومهما جاء السكاكي بصراحة القول بأن البديع هو وجوه مخصوصة في التحسين المعنوي والتحسين اللفظي, لكنه لم يصرح بعد بأن البديع هو علم خاص مثل علمي المعاني والبيان, إنما عبره بأنه وجوه مخصوصة. فلذلك جاء بعد السكاكي من قد صرح بأن البديع هو علم خاص أو علم مستقل في علم البلاغة وليس جزءا من علم المعاني أو البيان كما هو قد يُشعَر من كلام السكاكي. ومن العلماء الذين قد صرح بأن البديع هو علم خاص في مجال تحسين الكلام معنى ولفظا, هو الخطيب جلال الدين القزويني[21] في كتابه **الإيضاح في علوم البلاغة** ما نصه: "علم البديع هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام, بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"[22]. فاتضح في هذا التعريف بأن البديع هو علم مستقل, ولكن القزويني اشترط كون البديع علما مستقلا بوسيلته يعرف وجوه تحسين الكلام, أن يكون بعد استكمال مطابقته لمقتضى الحال ووضوح الدلالة, وهما عبارة عن علم المعاني وعلم البيان, أي رتبة علم البديع في البلاغة تكون بعد علمي المعاني والبيان.

واقتفى الحافظ جلال الدين السيوطي[23] أثر القزويني في تعريف البديع بأنه علم مستقل, فقال في كتابه **إتمام الدراية لقراء النقاية** ما نصه: "علم البديع هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام, بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة: أي الخلو عن التعقيد, لأنها إنما تعد محسنة بعدهما"[24]. إلا أن السيوطي زاد قليلا على أن المراد من وضوح الدلالة هو الخلو عن التعقيد, وهو التعسير الذي قد يكون في المعنى وقد يكون في اللفظ. وبين بأن الوجوه البديعية لا تعد محسنة إلا بعد استيفاء الشرطين. فكان الباحث يرى أن الشرطين عند القزويني يكونان لصحة اعتبار البديع علما مستقلا في تحسين الكلام, وأما الشرطان عند السيوطي فلصحة اعتبار الوجوه البديعية محسنة في الكلام.

---

[19]توفي سنة 626 هـ.

[20]السكاكي, **مفتاح العلوم**. تحقيق نعيم زرزور (ط. 2; بيروت: دار الكتب العلمية, 1407 هـ - 1987 م), ص. 423. http://waqfeya.com/book.php?bid=10519 (20 أبريل 2018 م)

[21]توفي سنة 739 هـ.

[22]الخطيب جلال الدين القزويني, **الإيضاح في علوم البلاغة**. تحقيق إبراهيم شمس الدين (ط. 1; بيروت: دار الكتب العلمية, 1424 هـ - 2002 م), ص. 255. http://waqfeya.com/book.php?bid=2536 (20 أبريل 2018 م)

[23] توفي سنة 911 هـ.

[24]الحافظ جلال الدين السيوطي, **إتمام الدراية لقراء النقاية**. تحقيق إبراهيم العجور (ط. 1; بيروت: دار الكتب العلمية, 1405 هـ - 1985 م), ص. 137. http://waqfeya.com/book.php?bid=10377 (20 أبريل 2018 م)

وإن آخر ما اعتمد إليه الباحث في معرفة تعريف البديع هو أحمد الهاشمي[25] في كتابه **جواهر البلاغة**, قائلا فيه ما نصه: "البديع هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة, وتكسوه بهاء ورونقا, بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى"[26]. فرأى الباحث أن هذا التعريف استكمل وأصبح هو المتداول في سائر أنحاء العالم العربي والإسلامي. وبعض من قام بتحقيق كتاب **جواهر البلاغة** شرح بأن المراد من الوجوه هو الأساليب والطرق أو الكيفيات.

وقد زاد الهاشمي كلمة "المزايا" في ذلك التعريف, فهذا يشير إلى أن الأساليب البديعية تمتلك المزايا الخاصة في مجال تحسين الكلام, وهي لم تكن موجودة في أساليب علمي المعاني والبيان, ولكن هذه المزايا منزلتها منزلة الزوائد على أساليب تحسين الكلام في علمي المعاني والبيان. فلذا بعض البلاغيين عبر عن كون تحسين الكلام بعلمي المعاني والبيان تحسينا ذاتيا, وبعلم البديع تحسينا عرضيا أي زائدا, وفي ذلك أغراض كثيرة يكشفها الباحث في مقامها المناسب.

ج. *نشأة وتطور علم البديع*

إن دراسة نشأة وتطور أي فن من فنون العلم هي لا يخرج عن كونها دراسة تاريخية. فدراسة نشأة وتطور علم البديع هي إذا عين دراسة تاريخية له, ذلك لأن النشأة والتطور جزآن لا يتجزآن من التاريخ. فالباحث في هذا المبحث يحاول على عرض البيانات التي لها صلة وطيدة بتاريخ علم البديع, بدءا من نشأته الأولى ومرورا بنشأة تكامل عناصره ونهاية إلى تطوراته حتى وصل إلى عصرنا الحديث في أحسن صورة وأكملها.

فمما يستحسن ذكره أن البديع من حيث المضمون والتطبيق قد كان موجودا ومطبقا في كلام العرب المتقدمين, وفي القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف, وفي آثار الصحابة أيضا. ولكنه من حيث الاصطلاح والتسمية فإنما عرف واشتهر عند المحدَثين العرب مثل أبي معاذ بشار بن برد الذي قتل عام 167 هـ, ومسلم بن الوليد الأنصاري الذي توفي عام 208 هـ, وأبي نواس الحسن بن هانئ صاحب ديوان الخمريات وتوفي عام 198 هـ. فهذا معنى قول ابن المعتز في كتابه **البديع** ما نصه: "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن, واللغة, وأحاديث رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–, وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدَثون البديعَ, ليُعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن, ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم...."[27]

فعرف مما سبق بيانه أن البديع من حيث التطبيق قد تحقق في كلام المتقدمين, وإن كان من حيث التسمية لا يعرف إلا في زمان المحدثين. فذكر ابن المعتز مثال البديع من قبيل الجناس[28] في القرآن: ((قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [29]))،

---

[25]عاش بين: 1295 – 1362 هـ/1878 – 1943 م.

[26]أحمد الهاشمي, **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** (ط. 12; إندونيسيا: مكتبة دار إحياء الكتب العربية, 1379 هـ – 1960 م), ص. 360.

[27]أبو العباس عبد الله بن المعتز, *كتاب البديع*, ص. 9.

[28]وهو كون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها.

[29]سورة النمل: الآية (44)

وفي الحديث: (الظلم ظلمات), وفي الأثر قول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: "هاجرو ولا تهجروا", وفي كلام العرب المتقدمين قول محمد بن كناسة:

وسميته يحيى ليحيا ولم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل

تيممت فيه الفأل حين رزقته ولم أدر أن الفأل فيه يفيل[30].

فكل هذه الأمثلة الآنفِ ذكرُها عبارة عن البديع التطبيقي في زمان لم يشتهر فيه اسم البديع شهرته في زمان الشعراء المحدثين. فبإمكان الباحث من خلال هذه الأمثلة وغيرها من الأمثلة الأخرى أنْ يقول إنّ البديع من حيث النظرية هو نظرية جديدة اكتشفها العلماء المتأخرون والشعراء المحدثون وعلى رأسهم الخليفة عبد الله بن المعتز العباسي كما يقوله: "فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو, وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد... [31]", وعلى الرغم من ذلك فإن البديع من حيث التطبيق كان قد شاع وذاع في كلام الشعراء العرب المتقدمين ويليهم القرآن الكريم فالأحاديث الشريفة فآثار الصحابة –رضي الله عنهم–, ففي هذه الفترة الزمانية قد نشأ البديع نشأته الأولى تطبيقية لا نظرية.

ومن العناصر البديعية التي قد توصل إليها الباحث من كلام المحدثين, هو ما ذكره ابن المعتز من قبيل التجنيس في كلام المحدثين, وهو ما كتبه أبو العيناء إلى ابن مكرم في بعض ما يذمه وأخاه, "وكيف أظهرتم حب النساء, وبكم عرق النسا, وكيف تقدمتم المهور, مع حاجتكم إلى الذكور[32]." وفي القرن الثالث الهجري (3 هـ) ظهر اسم عبد الله بن المعتز العباسي وهو يُعَدّ رائد علم البديع, ولم يكن يعرّف البديع آنذاك كعلم خاص بل يعرّفه بأنه اسم لفنون شعرية –كما سبق بيانه–. فنظرية علم البديع قد وجدت عنده واستكملت أبوابه في نظره –كما مر– في خمسة أبواب, وهي: الاستعارة, والتجنيس, والمطابقة, ورد العجز على الصدر والمذهب الكلامي, ولكنه ألحق هذه الأبواب الخمسة بما سماه محاسن الكلام والشعر, وهي التي عرفها مَن بعده بالمحسنات البديعية, وتلك المحاسن التي ذكرها ابن المعتز في كتابه **البديع** تحتوي على ثلاثة عشر نوعا, وهي: الالتفات, والرجوع, وحسن الخروج, وتأكيد المدح بما يشبه الذم, وتأكيد الذم بما يشبه المدح, وتجاهل العارف, والهزل يراد به الجد, وحسن التضمين, والتعريض والكناية, والإفراط في الصفة, وحسن التشبيه, ولزوم ما لا يلزم, وحسن الابتداء.

ومن أدق النظر في أبواب البديع ومحاسن الكلام والشعر في كتاب **البديع** لابن المعتز, يجد أن أبواب البديع تختلط بأحد أبواب علم البيان وهو الاستعارة. وفي محاسن الكلام والشعر ذكر ابن المعتز الكناية والتشبيه مع أن المعروف هما من أبواب علم البيان أيضا, ولا غرابة في ذلك لأن ابن المعتز ظهر في كتابه *البديع* أنه ممن رأى أن البديع هو البلاغة بوجه عام كما سبق ذكره. ومما يلفت النظر أن ابن المعتز في كتاب **البديع** بعد أن أوضح أبواب البديع الخمسة, كان يقول: "ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر, ومحاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعي الإحاطة بها, حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره, وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين, ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختيارا من غير جهل بمحاسن الكلام

[30]أبو العباس عبد الله بن المعتز, *كتاب البديع*, ص. 36-37.

[31]أبو العباس عبد الله بن المعتز, *كتاب البديع*, ص. 72.

[32]أبو العباس عبد الله بن المعتز, **كتاب البديع**, ص. 40.

ولا ضيق في المعرفة, فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل, ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع ولم يأت بغير رأينا, فله اختياره[33]." فهذا الكلام المنسوب إلى ابن المعتز يفتح المجال واسعا لمن أراد أن يزيد في البديع بابا أو مبحثا غير ما قد ذكره ابن المعتز, وكأنه علم أن سيكون مِن بعده مَن يزيد في البديع أو في محاسن الكلام بابا أو مبحثا خارج ما قد تم ذكره في كتابه.

ولكي يسهل وينتظم فهم نشأة وتطور علم البديع من حيث نشأته الأولى ثم نشأة تكامل عناصره ثم تطوراته المتنوعة حتى وصل إلى العصر الحديث, فالباحث ذاكر ذلك على حسب الترتيب التاريخي قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل. ونظرا إلى كثرة العلماء قرنا بعد قرن, فالباحث يكتفي بأبرز العلماء في عصره أو قرنه مع أبرز كتاب قد أسهمه في عالَم البلاغة عموما وعالَم البديع خصوصا, وهذا المنهج الذي سيسلكه الباحث في عرض البيانات وتحليلها هو المعني بقول الباحث في قائمة منهج البحث بدراسة تحليلية مقارنة من حيث اللغة والتاريخ.

ففي القرن الرابع الهجري (4 هـ) ظهر اسم قدامة بن جعفر. وذكر مصطفى السيد جابر[34] في كتابه **دراسات في علم البديع** أن قدامة بن جعفر جمع في كتابه **نقد الشعر** عشرين لونا ولكنه توارد مع ابن المعتز في ثمانية منها, وسلم له بذلك اثنا عشر نوعا[35]. وأما الباحث فقد رأى أن كتاب **نقد الشعر** لقدامة بن جعفر يحتوي على العناصر البلاغية وبالأدق العناصر الشعرية المترتبة لا على حسب أبواب البلاغة المعروفة, لأنه رتب محتويات كتابه بثلاثة فصول أساسية تتضمن أنواعا من المباحث الشعرية, وبعض هذه المباحث هو المباحث البديعية. ومثال ذلك في الفصل الثاني هو الترصيع والتقسيم والمقابلات والمبالغة والالتفاف والمطابق والمجانس, وفي الفصل الثالث هو التجميع.

وقد أبرز أبو هلال العسكري في كتابه **الصناعتين الكتابة والشعر** تطورا واضحا لعلم البديع وعناصره, فذكر خمسة وثلاثين فصلا في شرح البديع. وتلك الفصول الخمسة والثلاثون هي: الفصل الأول في الاستعارة والمجاز، والفصل الثاني في التطبيق، والفصل الثالث في التجنيس، والفصل الرابع في المقابلة، والفصل الخامسة في صحة التّقسيم، والفصل السادس في صحة التفسير، والفصل السابع في الإشارة، والفصل الثامن في الأرداف والتوابع، والفصل التاسع في المماثلة، والفصل العاشر في الغلوّ، والفصل الحادي عشر في المبالغة، والفصل الثاني عشر في الكناية والتعريض، والفصل الثالث عشر في العكس والتبديل، والفصل الرابع عشر في التذييل، والفصل الخامس عشر في الترصيع، والفصل السادس عشر في الإيغال، والفصل السابع عشر في التّرشيح، والفصل الثامن عشر في رد الأعجاز على الصدور، والفصل التاسع عشر في التكميل والتتميم، والفصل العشرون في الالتفات، والفصل الحادي والعشرون في الاعتراض، والفصل الثاني والعشرون في الرجوع، والفصل الثالث والعشرون في تجاهل العارف،

---

[33]أبو العباس عبد الله بن المعتز, **كتاب البديع**, ص. 73.

[34]الأستاذ بجامعة الأزهر.

[35]مصطفى السيد جبر, **دراسات في علم البديع** (ط. 4; د. م. : دريم للطباعة, 1428 هـ -2007 م), ص. 9. http://f-arab-ebook.blogspot.co.id/2016/10/pdf_84.html?m=1 (20 مايو 2018 م)

والفصل الرابع والعشرون في الاستطراد، والفصل الخامس والعشرون جمع المؤتاف والمختلف، والفصل السادس والعشرون في السلب والإيجاب، والفصل السابع والعشرون في الاستثناء، والفصل الثامن والعشرون في المذهب الكلامى، والفصل التاسع والعشرون في التشطير، والفصل الثلاثون في المحاورة، والفصل الحادي والثلاثون في الاستشهاد والاحتجاج، والفصل الثاني والثلاثون في التعطف، والفصل الثالث والثلاثون في المضاعف، والفصل الرابع والثلاثون في التطريز، والفصل الخامس والثلاثون في التلطف[36].

فقد تجلى تكامل العناصر البديعية في تلك الفصول التي أوردها أبو هلال العسكري, ولم يكن تلك الفصول إلا وقد وردت في كتب العلماء السابقين, إلا أن أبا هلال العسكري أوضح وهذب شيئا من ذلك, كما وقع في ستة أنواع: التشطير، المحاورة، والتطريز، والمضاعف، والاستشهاد، والتلطف, ولم تكن هذه الأنواع الستة إلا من فضل السابقين, إلا أن أبا هلال العسكري أوضحها وهذبها حتى لكأنها من زيادته, كما قاله فيما نصه: " وقد شرحت في هذا الكتاب فنونه، وأوضحت طرقه، وردت على ما أورده المتقدمون ستة أنواع: التشطير، المحاورة، والتطريز، والمضاعف، والاستشهاد، والتلطف. وشذبت على ذلك فضل تشذيب، وهذبته زيادة تهذيب....[37]"

وفي القرن الخامس الهجري (5 هـ) ظهر اسم ابن رشيق القيرواني بكتابه الضخم **العمدة في صناعة الشعر ونقده**, وامتاز بتوسيع البحث والتنبيه في النقاط المهمة التي قد تشير إلى وقوع الاختلاف. وأنواع البديع التي قد ذكرها في كتابه فيما يلي: 1) الاستعارة 2) والتمثيل 3) والمثل السائر 4) والتشبيه 5) والاشارة 6) والتتبيع 7) والتجنيس 8) والترديد 9) والتصدير 10) والمطابقة 11) وما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة 11) والمقابلة 12) والتقسيم 13) والتسهيم 14) والتفسير 15) والاستطراد 16) والتفريع 17) والالتفات 18) والاستثناء 19) والتتميم 20) والمبالغة 21) والإيغال 22) والغلو 23) والتشكك 24) والحشو وفضول الكلام 25) والاستدعاء 26) والتكرار 27)ونفي الشيء بإيجابه 28) والاطراد 29) والتضمين والإجازة 30) والاتساع 31) والاشتراك 32) والتغاير[38].

فاتضح من خلال بيان ابن رشيق القيرواني أن عناصر البديع عنده تكون في اثني وثلاثين نوعا, كما اتضح أن بعض التسميات التي جاء بها ابن رشيق القيرواني تختلف بالتسميات التي جاء بها أبو هلال العسكري بناء على ما قاله رائد البديع ابن المعتز العباسي من جواز اختلاف التسميات في بيان أنواع البديع الكثيرة والمتنوعة, واختلاف التسميات لا يعني اختلاف المسميات. والزيادة في أنواع البديع شيء أجازه أيضا ابن المعتز العباسي, فلا غرابة في ازدياد عناصر البديع قرنا بعد قرن. وأما عبد القاهر الجرجاني فقد قال في كتابه **أسرار البلاغة** فيما نصه: "وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاماً حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ما له اسم في البديع إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبين, ويخيل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده

---

[36]أبو هلال العسكري, **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**, ص. 266.

[37]أبو هلال العسكري, **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**, ص. 267.

[38]ابن رشيق القيرواني, **العمدة في في صناعة الشعر ونقده**, تحقيق عبد الواحد شعلان, ص. 435-476.

كمن ثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها...[39]" فعبد القاهر الجرجاني فيما ظهر كره الإكثار من ألوان البديع في الكلام إذا لم يكمل المعنى الذي أريد به مستدلا بأن جانبي المعاني والبيان لا بد أن يُراعَيا أولا قبل رعاية جانب البديع.

فمن أجل ذلك ظهر في كتابه أنه أكثر من ذكر مباحث المعاني والبيان ولم يتوسع في ذكر أنواع البديع بل يكتفي بذكر التجنيس والسجع والحشو والتطبيق والاستعارة مع ذكر أنواع كل منها. وفي القرن السادس الهجري (6 هـ) برز اسم الزمخشري مع تفسيره المشهور الذي سماه **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**, وهو التفسير الذي يعد مثالا تطبيقيا لعلم البلاغة في القرآن أجمع. وليس الزمخشري أول من عالج تفسير القرآن الكريم بالوجوه البلاغية لأنه وجد من سبقه في ذلك الأمر كشيخه الجاحظ في كتابه **نظم القرآن**, إلا أن الجاحظ أتى بمباحثه عشوائية يصعب للقارئ استنباط الوجوه البلاغية للقرآن من خلال كتابه, فجاء الزمخشري بتكميل هذا المنهج الذي قد سلكه الجاحظ, فعالج تفسير القرآن بأجمعه مرتبا من أول السورة إلى آخرها حتى يسهل على القارئ استنباط معاني القرآن الكريم بالوجوه البلاغية المعاني والبيان.

وأهمية علمي المعاني والبيان في فهم القرآن ذكرها الزمخشري في مقدمة تفسيره وكان يذكرها نقلا من قول شيخه الجاحظ في كتاب **نظم القرآن**: "إن أملأ العلوم حقائق ولطائفَ وأسرارا هو علم التفسير الذي لا يتصدى أحد لسلوك طرائقه ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق واللطائفِ والأسرارا إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان, وتمهل في ارتيادهما آونة, وتعب في التنقير عنهما أزمنة, وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله, وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ, جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ, كثير المطالعات طويل المراجعات...[40]"

فهذا الكلام يدل على أهمية علمي المعاني والبيان البالغة ودورهما الكبير في فهم واستخراج لطائف القرآن والسنة لفظا وتركيبا وأسلوبا. فلا غرابة أن اعتبر العلماء تفسير **الكشاف** تفسيرا تطبيقيا كاملا للقرآن الكريم بأجمعه مستعينا بالوسائل البلاغية معانيها وبيانها. ولعل قائلا يقول فأين دور علم البديع في تفسير **الكشاف**؟ نعم, كان الزمخشري رأى علم البديع فرعا من علم البيان, فلذا لم يذكر علم البديع مستقلا بل أدخله في مباحث علم البيان. فعلم البديع على سبيل الخصوص وعلم البلاغة على سبيل العموم قد لقيا تطورا جديدا في يد الزمخشري. وذكر الباحث بأن هذا التطور جديد لأن معظم العلماء قبل الزمخشري اعتنى بتطوير علم البديع نظرية فقط لا تطبيقية, فأما الزمخشري فإنه جاء باعتناء جديد وهو تطوير علم البلاغة تطبيقية في القرآن كله, وإن كان ذلك الاعتناء يضطره إلى أن اشتغل عن تطوير نظريات علم البلاغة وبالأدق علم البديع, ولعله في ذلك اكتفى بنظريات علم البديع الموجودة من قبل.

---

[39]عبد القاهر الجرجاني, **أسرار البلاغة**. تحقيق محمود محمد شاكر (جدة: دار المدني, د. س), ص. 9.

[40]أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري, **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** تحقيق عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي, د. سنة, المكتبة الشاملة), ج. 1, ص.42-43.

ومن أمثلة العناصر البديعية التي ذكرها الزمخشري في تفسيره, هو التقابل –على حد تعبيره– أو المقابلة في قوله تعالى: ((ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦)) إنّ الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل, والتكرير في لفظ الميزان الواقع في قوله تعالى: ((وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩))[41].

وفي القرن السابع الهجري (7 هـ) ظهر اسم السكاكي مع كتابه **مفتاح العلوم**, وكان يقول فيه ما نصه: "...فههنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار[42] إليها لقصد تحسين الكلام...وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ[43]." فلقد لقي علم البديع تطورا جديدا في يد السكاكي لأنه جاء بتقسيم علم البديع إلى المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية, ولم يوجد من قبل من أتى بمثل هذا التقسيم, لأن مَن سبقه مِن العلماء إنما زادوا شيئا بل أشياء في العناصر البديعية ولكنهم لم يقسموها إلى ما يرجع إلى البديع المعنوي وما يرجع إلى البديع اللفظي, فحاز السكاكي على فضل في تقسيم البديع إلى المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية, وهو التقسيم المتداول من بعده إلى العصر الحاضر.

وهذا التطور الذي جاء قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل قد لقي قبولا حسنا لدى جميع العلماء, منهم جلال الدين القزويني في القرن الثامن الهجري (8 هـ), وجلال الدين السيوطي في القرن العاشر الهجري (10 هـ) وأحمد الهاشمي في القرن الرابع عشر الهجري (14 هـ) وهو الأقرب إلى العصر الحاضر, فكل منهم جاء متأخرا فزادوا في علم البديع ما زادوا, وغيروا تسمية في ألوان البديع غير ما قد وجدت من قبل. وبالرغم من ذلك كله, كانوا إنما يقتفون آثر سابقيهم ويمشون على أقدامهم فلا يخرجون من المنهج الأساسي الذي قد أسسه ابن المعتز وبنى عليه الأجيال والرجال من بعده.

وإن الباحث أيضا قد عثر على لون آخر من تطور علم البديع في صورته التطبيقية غير ما قد أتى به الزمخشري, وهذه الصورة التطبيقية كانت في أبيات شعرية حتى اشتهرت بالبديعيات وهي القصائد التي اشتمل كل بيت منها على لون أو أكثر من ألوان البديع تمثيلا فقط. وأغلب هذه القصائد في مدح الرسول –عليه الصلاة والسلام– وذلك تأسيا بالإمام البوصري الذي عاش في القرن السابع الهجري (7 هـ) في قصيدته المباركة التي سميت **بردة المديح**[44], فمن جملة هذه القصائد قوله:

---

[41] جار الله محمود بن عمر الزمخشري, **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**, تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض, ج. 6, ص. 6.

[42] هكذا نص الكتاب, ولعل الصواب "يشار إليها".

[43] السكاكي, **مفتاح العلوم**. تحقيق نعيم زرزور, ص. 423.

[44] مصطفى السيد جبر, **دراسات في علم البديع**, ص. 13.

أمن تذكر جيران بذي سلم	مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة	وأومض البرق في الظلماء من إضم
فما لعينيك إن قلت اكففا همتا	وما لقلبك إن قلت استفق يهم
أيحسب الصب أن الحب منكتم	ما بين منسجم منه ومضطرم

فأظهر ألوان البديع في هذه القصائد, منها السجع الذي هو أحد المحسنات اللفظية, وإن كان ذلك السجع ليس هو وحده نوع البديع في تلك القصائد, إنما الباحث اكتفى به لأنه هو الأظهر من غيره. وهذه البديعيات كثيرا ما أتى بها عشاقها من البديعيين والبديعيات منهم شمس الدين بن جابر الأندلسي (8 هـ) في بديعيات سماها **الحلة السير في مدح خير الورى**, فيها نحو ستين لونا من ألوان البديع, ومطلع هذه البديعيات[45]:

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم	وانثر له المدح وانشر أطيب الكلم

فبين (يَمِّم) و(أُمَم) من هذا البيت نوع من الجناس, وكذلك ما بين (انْثُر) و(انْشُر). وبين (الأمم) و(الكلم) ما يدل على السجع. والجناس والسجع من المحسنات اللفظية. ومن البديعيات عائشة بنت يوسف الباعونية (10 هـ), وفي العصر الحديث أحمد البربير البيروتي (13 هـ), والشيخ طاهر الجزائري (14 هـ) الذي قد نظم قصيدة بديعية وضع لها شرحا سماه **بديع التلخيص في تلخيص البديع**[46]. وأما في القرن الحاضر وهو أوساط القرن الخامس عشر (15 هـ) فلا يجد الباحث ما يتعلق بعلم البديع سوى تلخيص وتهذيب ودراسات وبحوث مثل كتاب **دراسات في علم البديع** لمصطفى السيد جبر وهو أستاذ في جامعة الأزهر, ومثل الرسالة التي كان الباحث بصددها الآن.

د. مسك الختام

خلاصة الكلام في معرفة حقيقة علم البديع يمكن إجمالها بالقول بأنها عند علماء اللغة وأئمة البلاغة تنقسم إلى ثلاثة مذاهب:

1. من ذهب إلى أن علم البديع هو علم البلاغة بشكل عام, وهذا مذهب ابن المعتز العباسي.
2. ومن ذهب إلى أن علم البديع هو فن أو علم خاص في تحسين الكلام لفظا دون معنى, وهذا مذهب ابن رشيق القيرواني, ومال إليه عبد القاهر الجرجاني.

---

[45] مصطفى السيد جبر, **دراسات في علم البديع**, ص. 14.

[46] عرفان مطرجي **شرحا وتعليقا** في **مقدمة** أبي العباس عبد الله بن المعتز, **كتاب البديع**, (ط. 1; بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية, 1433 هـ - 2012 م), ص. 7.

3. ومن ذهب إلى أن علم البديع هو فن أو علم خاص في تحسين الكلام معنى ولفظا, وهذا مذهب معظمهم من قدامة بن جعفر, وأبي هلال العسكري, والسكاكي, والقزويني, والسيوطي, والهاشمي.

وخلاصة الكلام في معرفة نشأة وتطور علم البديع يمكن إجمالها في أهم النقاط التالية:

1. كانت النشأة الأولى لعلم البديع من حيث التطبيق موجودة في كلام العرب المتقدمين, وفي القرآن الكريم, والحديث الشريف, وآثر الصحابة.
2. وكانت النشأة الأولى لعلم البديع من حيث التسمية معروفة عند الْمُحدَثين العرب كمسلم بن الوليد الأنصاري وأبي نواس الحسن بن هانئ.
3. وكانت النشأة الأولى لعلم البديع من حيث النظرية مشهورة لدى الخليفة عبد الله بن المعتز العباسي.
4. وكان تطور علم البديع من حيث تكامل عناصره على أيدي كل من قدامة بن جعفر, وأبي هلال العسكري وابن رشيق القيرواني.
5. وكان تطور علم البديع من حيث تطبيقه الحي في القرآن أجمع, من فضل الزمخشري.
6. وكان تطور علم البديع من حيث تقسيمه إلى المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية من فضل السكاكي.
7. وكان تطور علم البديع من حيث تطبيقه إلى البديعيات من فضل الإمام البوصري.
8. وكان علم البديع في العصر الحاضر يقتصر على التهذيب والدراسات, وأما التطوير فلا.

المصادر والمراجع

القرآن العظيم والسنة المطهرة.

إبن جعفر, قدامة. **نقد الشعر**. د. ب.: المكتبة الشاملة. موقع الوراقhttp://www.alwarraq.com

جبر, مصطفى السيد. **دراسات في علم البديع**. ط. 4; د. م. : دريم للطباعة, 1428 هـ -2007 م -http://f-arab-ebook.blogspot.co.id/2016/10/pdf_84.html?m=1 (20 مايو 2018 م).

الزمخشري, جار الله محمود بن عمر. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. ط. 1; الرياض: مكتبة العبيكان, 1418 هـ - 1998 م.
https://archive.org/details/Kashaf2 (30 Juni 2018)

الجرجاني, عبد القاهر. **أسرار البلاغة**. ت. محمود محمد شاكر. جدة: دار المدني, د. س.
http://archive.org/details/FP0157 (13 أبريل 2018 م).

السكاكي. **مفتاح العلوم**. تحقيق نعيم زرزور. ط. 2; بيروت: دار الكتب العلمية, 1407 هـ - 1987 م.
http://waqfeya.com/book.php?bid=10519 (20 أبريل 2018 م).

السيوطي, الحافظ جلال الدين. **إتمام الدراية لقراء النقاية**. تحقيق إبراهيم العجور. ط. 1; بيروت: دار الكتب العلمية, 1405 هـ - 1985 م. http://waqfeya.com/book.php?bid=10377 (20 أبريل 2018 م).

العباسي, أبو العباس عبد الله بن المعتز. **كتاب البديع**. شرحه وحققه عرفان مطرجي. ط. 1; بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية, 1433 هـ - 2012 م. .(9 April 2018) http://www.noor-book.com/badi-1

العسكري, أبو هلال. **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**. ط. 1; د. م: دار إحياء الكتب العربية, 1371 هـ - 1952 م
http://archive.org/details/ktsnktsh (13 أبريل 2018 م).

الفيروزآبادي. **القاموس المحيط**. ط. 6; دمشق: مؤسسة الرسالة, د. س.
.(7 April 2018) https://archive.org/details/WAQ105905_201402

القزويني, الخطيب جلال الدين. **الإيضاح في علوم البلاغة**. تحقيق إبراهيم شمس الدين. ط. 1; بيروت: دار الكتب العلمية, 1424 هـ - 2002 م. http://waqfeya.com/book.php?bid=2536 (20 أبريل 2018 م).

القيرواني, ابن رشيق. **العمدة في في صناعة الشعر ونقده**. تحقيق عبد الواحد شعلان. ط. 1; القاهرة: مكتبة الخانجي, 1420 هـ- 2000 مhttp://archive.org/details/Omdah_Naqd (13 أبريل 2018 م).

مجمع اللغة العربية. **المعجم الوسيط**. ط. 4; د. م.: مكتبة الشروق الدولية, 1425 هـ / 2004 م.
.(8 April 2018) http://waqfeya.com/book.php?bid=210

المصري, محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي. **لسان العرب**. بيروت: دار صادر, د. س.
.(8 April 2018) http://waqfeya.com/book.php?bid=4077

الميداني, عبد الرحمن. **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**. دم. دن. دس.
https://archive.org/details/chucraet_moakt (26 Mei 2018).
الهاشمي, أحمد. **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**. ط. 12; إندونيسيا: مكتبة دار إحياء الكتب العربية, 1379 هـ – 1960 م.